تطور مفهوم القوة الاجتماعية في الفكر الاجتماعي

دكتور
إبراهيم بن محمد العبيدي
قسم الدراسات الاجتماعية
جامعة الملك سعود

المقدمة

فى مناحى الحياة المختلفة الطبيعية والاجتماعية هناك ظاهرة من الظواهر استحوذت على انتباه واهتمام الانسان إلا وهى ظاهرة القوة . فالفرد أيا كان وأينما كان فى الشارع أو فى عمله أو فى منزله يشاهد ويعايش أثر القوة مستفيدا منها حينا وخاسرا منها فى احيان أخرى . إلا أن الغلبية من الناس تمر عليه آثار القوة دون أن يلقى نظرة متفحصة لهذه الظاهرة ففى الطبيعة هناك أشكال من القوة ، قوة الجاذبية التى تحفظ الكائنات من أن تتطاير فى الفضاء وقوة الشد والجذب والتى تمكننا من جذب ودفع الأشياء .

لقد اهتم علماء الطبيعة بهذه الظاهرة أيما اهتمام والذى تمخض عنه العديد من النظريات وما ترتب عليها من اكتشافات تطبيقية . وفى الحياة الاجتماعية لا تقل هذه الظاهرة اهمية عنها فى الحياة الطبيعية . فالقوة الاجتماعية هى حجر الأساس فى العلاقات الاجتماعية سواء نظرنا إليها فى اصغر وحدات المجتمع كالأسرة أو فى الوحدات الكبرى كالمجتمعات . وكما شغلت القوة كظاهرة طبيعية علماء الطبيعة كذلك شغلت ظاهرة القوة الاجتماعية اهتمام المفكرين الاجتماعيين لعدد من القرون ، كما نلاحظ ذلك عند افلاطون وارسطو حيث شغلت هذه القضية حيزا كبيرا من اهتمامهما.

ولعل أهمية القوة كمحور للنقاش العلمى والفلسفى على مر القرون كان نتيجة الادراك الواعى لوظيفتها والآثار المترتبة على استخدامها حيث وجهت العلاقات الاجتماعية لخير البشرية أو لشرها . ويزخر التاريخ بالحوادث الدامية لسوء استخدامها كما يزخر بأمثلة رائعة لحسن استخدانها وما تمخض عنه من حضارات زاهرة تحقق للانسان من خلالها حياة رفاهية ورغد . ولعله من المستحيل أن نتصور الحياة الاجتماعية بمعزل عن ظاهرة القوة فالحياة الاجتماعية دون هذه الظاهرة تصبح شيئا آخر ليس ما نعرفه عن الحياة الاجتماعية على مر القرون ، فهى حجر الأساس للعلاقات الاجتماعة وهى أهم دعائم الضبط الاجتماعى فى جميع مستوياته وأشكاله . إن الاهتمام بدراسة ظاهرة القوة الاجتماعية بجميع أشكالها وانماطها وعواملها يمكن أن يلقى الضوء على كثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تعانى منها كثير من المجتمعات سواء على مستوى الأسرة أو التنظيمات أو على

المستوى المجتمعى لأن النتائج المترتبة على سوء استخدامها أو توزيعها أو حراكها يمكن أن يوثر سلبا فى المجتمع بناءً و وظيفة .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ،

أولا: القاء الضوء على مفهوم القوة الاجتماعية من خلال التتبع التاريخى لمدلول هذا المفهوم عند بعض الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين القدماء امثال افلاطون وابن خلدون وماكياقيلى وباريتو وكذلك الوقوف على تطور دلالة هذا المفهوم فى الفكر السوسيولوچى المعاصر .

ثانيا : رصد المحاولات المختلفة لتعريف مفهوم القوة الاجتماعية اجرائيا وابراز الصعوبات التى تواجه هذه التعريفات .

أولا : مفهوم القوة الاجتماعية عند الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين القدماء

يجب أن ندرك قبل البدء أن مفهوم القوة عند قدماء المفكرين مرتبط غاية الارتباط بالبعد السياسى أو بالحياة السياسية والذى كان محل جدل طويل حيث كانت الاحداث والمشكلات تعصف بالحياة السياسية والاجتماعية ، وكان معظم قدماء المفكرين ينظرون إلى الاشكالية السياسية على أنها توزيع للقوة يؤثر فى عملية الضبط الاجتماعى ، كما اتصفت كتابات قدماء المفكرين أمثال افلاطون وارسطو بالطابع الموسوعى فى معالجة القضية السياسية حيث تتداخل الابعاد الميتافيزقية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاخلاقية ، إلى جانب ذلك فإن مفهوم القوة الاجتماعية لا يبرز بطريقة مباشرة وأن كان يمثل حجر الأساس لمناقشاتهم . فقد كان هم سقراط الأول دحض أراء ومعتقدات السفسطائيين معطيا للعقل أهمية بالغة معتبرا أياه صانع المدركات الكلية . فعند سقراط إذن أن الحاكم القادر هو الحاكم الفيلسوف ، فالمعرفة عنده هى القوة القادرة على حل المشكلات السياسية.

(أسعيد،١٩٨٤،٣٦-٣٩)

أما أراء افلاطون حول العدالة فتعد من الاشارات المبكرة إلى ما سمى بعد ذلك فى تراث العلوم الاجتماعية بنظرية القوة فالعدالة عنده أن يخضع الناس لطبقة حاكمة أى الطبقة التى تملك القوة فى مفهومنا الحديث" (سعد ، ١٩٨٦ : ١٤)

أما ارسطو فيعتبر أن قضية الحاكم والمحكوم ليست ضرورية فقط وإنما حتمية ، فمنذ ولادة الإنسان إلى وفاته هناك من يحتم عليه أن يكون محكوما وهناك من يحتم عليه أن يكون حكاما (Bambrough , 1963 : 387) ويبدو أن ارسطو لم يكن متحيزا أو مفضلا لنوع من انواع الحكومات لأن صلاح الحكومة من وجهة نظره ليست بشكلها ملكية كانت أو ارستقراطية أو ديمقراطية لأن أى شكل من هذه الأشكال قد يكون صالحا أو طالحا .

أما الفارابى والذى اقتبس بعضا من افكار ارسطو فقد كان خياليا فى طرحه للقضايا الاجتماعية ولعل ما يزخر به كتابه " آراء أهل المدينة الفاضلة" يؤكد هذا التوجه . ومع أنه تعرض لضرورة الاجتماع الانسانى إلا أنه علل لهذه الضرورة لسد حاجات الفرد وأنه أى الانسان مفطور على حب التجمع ، اما بالنسبة لمفهوم القوة فنستشفه من حديثه عن السلطة فى المجتمع حيث يرى ضرورتها نابعة من حاجة المجتمع إلى قانون يحقق العدالة بين افراد المجتمع والسلطة عند الفارابى يجب أن تكون فى رئيس المدينة الفاضلة وهو عنده إما نبى أو فيلسوف ومع أنه ركز على الحكم الفردى كما يبدو إلا أنه يعرض أشكالا أخرى من السلطة حيث يشترك أكثر من واحد فى هذه المهمة حين يتعذر وجود فرد واحد تتوفر فيه جميع الخصال العقلية والنفسية والحسية والروحية التى يراها الفارابى ضرورة فى رئيس المدينة الفاضلة (الفارابى : ٩٦ - ١٠٨) . ونستنتج من تركيز الفارابى للسلطة فى نبى أو فيلسوف أنه أكد أهمية المعرفة وضرورة توفرها فى من يتولى السلطة ، فالنبى الذى يوحى إليه من السماء لابد وأن يكون لديه المعرفة ، المعرفة التى تمكنه من الحكم بالعدل والمساواة وكذلك الحال بالنسبة للفيلسوف ، إذن مصدر القوة عند الفارابى هو المعرفة ، المعرفة الدينية كما تتمثل فى الأنبياء والرسل أو المعرفة الفلسفية كما تتمثل فى الفلاسفة.

أما بالنسبة للغزالى فيذهب عزام خلاف من ذهب أنه ليس للغزالى رأى خاص فى الحكومة ولا نظرية معينة فى السلطات حيث يذكر : أن الغزالى لم يترك هذه المسألة لاستنتاجات كتابنا ، فقد بت بها هو نفسه إذ قال : (ومذهبنا فى الإمامة) ليعنى بذلك أنه

صاحب مذهب أو نظرية سيتسية كما نسميها اليوم " (عزام ، ١٩٨٦ : ١٥) ، أما بالنسبة لظهور السلطة عند الغزالى فيرى عزام " أن انقياد الناس إلى شهواتهم هو سمة نفسية مميزة للطبيعة البشرية بدت وكأنها تمثل للغزالى فى المستوى أو الجانب الأخلاقى من حياة الناس وهو عامل رئيسى أدى إلى وجود السلطة فى المجتمع ، ليس مباشرة أو لذاته فقط ، بل من خلال خلل آخر أحدثه فى المجتمع وبالتحديد فى الجانب الاقتصادى منه ، حيث تمثل بعجز الموارد المالية إلى الحد الذى لم تعد تكفى فيه جميع حاجات الناس . لقد نظر الغزالى إلى العوامل النفسية والاقتصادية هذه وقد ارتبطت بعامل اجتماعى تمثل بالخلل الذى اصاب العلاقات الاجتماعية بين الافراد فى مرحلة غياب السلطة ، حيث حلت العلاقات الصراعية محل العلاقات التعاونية وحل التخاصم محل التعاون والتعاضد، وهذه نتيجة طبيعية متوقعة لموارد محدودة يتنافس الناس للحصول عليها بطرق غير رشيدة " (عزام ، ١٩٨٦ : ١٧ - ١٨)

ويرى ابن خلدون " أن البشر تستحيل حياتهم ووجودهم الا بتجمعهم وتعاونهم لتحقيق متطلبات حياتهم ويؤدى هذا الاجتماع الى ظهور العدوانية نتيجة الاطماع مما يؤدى الى النزاع لذا يحتاج أى تجمع انسانى الى حاكم ينظم علاقة الافراد بعضهم ببعض " ثم أن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر ..... وتم عمران العالم بهم فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليس السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم فلابد من شئ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطات واليد القاهرة حتى لا يصول أحد على غيره بعدوان وهذا معنى الملك " (ابن خلدون :٤٣) ويضيف :

" الملك منصب طبيعى للإنسان لأنا قد بينا أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا بتجميعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية فى تلك فيقع التنازع المفضى إلى المقاتلة وهى تؤدى إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس ذلك إلى انقطاع النوع و هو مما خصصه البارى سبحانه بالمحافظة

فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك إلي الوزاع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولابد فى ذلك من العصبية لما قدمناه من أن المطالبات كلها والمدافعات لا تتم إلا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج إلى المدافعات ولا يتم شئ من ذلك إلا بالعصبيات كما مر والعصبيات متفاوته وكل عصبية فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس المُلك لكل عصبية وإنما المُلك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجنى الأموال ويبعث البعوث ويحمى الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهر وهذا معنى الملك وحقيقته فى المشهور فمن قصرت به عصبيته عن بعضها مثل حماية الثغور أو جباية الأموال أو بعث البعوث فهو ملك ناقص " (ابن خلدون : ١٨٧ - ١٨٨) .

ونلاحظ أن أبن خلدون قد جعل من العصبية أساسا للقوة ومعينا لبقاءها واستمرارها ، كما جعلها أساسا لقيام الدولة . ويبدو أن أبن خلدون قذ اعتمد على استقرار الواقع الاجتماعى والسياسى الذى عايشه ولم يعر الحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية والاغريقية اهتماما . ويشير بدوى فى مناقشته لأراء أبن خلدون أن السلطة فى المجتمع - عند أبن خلدون " تنبعث فى الأصل عن القوة والتى عادة ما تكون لدى الجماعات التى تتصف بالشجاعة والترابط والوحدة والصبر على الشدائد ، وتتحقق هذه الصفات عند الجماعات التى تعيش على البداوة والتقشف وقد أستشهد أبن خلدون على صدق رأيه هذا بأن الغزوات الكبرى فى التاريخ قد حدثت على يد جماعات تعيش على البداوة كالجرمان .....، ولكننا نستطيع اليوم أن نقول أن هذه الظاهرة ليست قاعدة ثابتة بل أن الأمر قد تغير بعد زمن أبن خلدون ، فبمجرد أن ظهر اختراع البارود والاسلحة النارية لم يصبح التفوق السياسى للقوة والشجاعة بل اصبح فى جانب القوة المادية والتفوق الآلى " (بدوى ، ١٩٨٧ : ٦٠)

أما هوبز فيعرف القوة بأنها وسائل الفرد المتاحة لأى مصلحة مستقبلية بغض النظر عن توظيفها لبوغ هذه المصلحة ، وعند هوبز أن محرك الفرد لإمتلاك القوة هو حاجته إلى الأمن ، وهذه الحاجة على الرغم من بساطتها إلا أن الفرد فى النهاية يحاول ما استطاع أن يحصل على المزيد من القوة ، أن الرغبة لدى الأنسان رغبة لا تتوقف ولا تهدأ فى الحصول على المزيد من مصادر القوة ، وكلما بلغ منها حظا رغب فى المزيد ، رغبة لا تتوقف إلا بتوقف

الحياة ، وعند هوبز أن مرد ذلك ليس لعدم قناعة الفرد بما وصل إليه من سعادة وما بلغه من قوة ولكنه لا يطمئن على ما يملكه من قوة إلا بالسعى للحصول على المزيد منها . (Wrong,1980 : 219)

ويشير بدوى أن هوبز لا يرى بأن غريزة المجتمع متأصلة فى نفوس البشر لأنها تتعارض مع أنانيته الشخصية ، فالحيات فى الأصل كانت تخضع للقوة الغاشمة ، والقانون الذى كان يسود حياة الطبيعة هو حرب الجميع (بدوى ، ١٩٨٧ : ٦٨) ، ويرى هوبز أن توكل مقاليد السلطة إلى حاكم يتمتع بسلطات مطلق يرهبونه الناس لما له من قوة عسكرية وروحية، وهو الذى يحدد للناس حدود العدل والظلم والحق والباطل وأن تكون السلطان جمبعها الروحية والتشريعية والقضائية والتنفيذية فى قبضته . (بدوى ، ١٩٨٧ :٦٩)

فى حين يضع هوبز القوة فى يد الحاكم لتحقيق العدالة والضبط الاجتماعى نجد منتسكيو يرى القوة في القانون ففى نظره " أن القوانين ضرورة مجتمعية أملتها طبيعة الاجتماع الإنسانى ، ذلك الاجتماع الذى يتطلب وجود القوة التى تحمل الناس على الانسجام مع مصطلحاته وقيمه ، ومن هنا كانت القوانين فى نظر منتسكيو اساسية فى حياة البشر ومهمتها تهذيب جبلتهم وما فطروا عليه وإجبارهم على المسلك الذى ينبغى أن يسلكوه فى معاملتهم بعضهم مع بعض (نور :١١٦)

أما ماركس فيرى أن مصدر القوة يكمن فى الانتاج الاقتصادى والذى يؤثر بدوره فى جميع الوحدات الاجتماعية ، ومن يمتلك القوة من وجهة نظره هى الطبقة الاجتماعية والتى تسخر الحكومة لخدمة مصالحها لذا فبالنسبة لماركس فإن اسس التنظيم الاجتماعى هى القوة الاقتصادية والتى تنتج من امتلاك وسائل الانتاج .

ومع أن الغزالى قد اهتم بالعامل الاقتصادى فى تناوله لقضية السلطة إلا أنه يختلف عن ماركس فى نظرتة إلى العامل الاقتصادى على أنه السبب فى ظهور القوة أو السلطة بينما اعتبر ماركس أن الاقتصاد مصدر القوه .

أما باريتو فمع أنه لا يرفض تماما وجهة نظر ماركس كلية إلا أنه يعتقد أن امتلاك وسائل الانتاج ماهو الا مصدر من مصادر ممارسة القوة الاجتماعية وليس الوحيد ، لقد كان هم

باريتو منصبا لاثبات دور الصفوة فى ممارسة السلطة الاجتماعية حيث يرى أنه مهما اختلفت انماط الحكومة سواء أكانت ديمقراطية أم استبدادية فإن ظهور مجموعة أو أكثر من الصفوة الحاكمة والتى تمارس القوة الاجتماعية امر لا مفر منه وتحاول الصفوة توظيف جميع الوسائل الضرورية للاحتفاظ بقوتها لحكم المجتمع ويرى باريتو أن المجتمع يتكون من شريحتين عليا ودنيا فالشريحة العليا تتكون من الحكام أما الشريحة الدنيا فتتكون من المحكومين ويرى أن نمط الحاكم والمحكوم عالمى وعام فإذا اسقطت صفوة فستأخذ مكانها صفوة أخرى (Pareto, 1972; 114 - 116) .

مما سبق يتضح أن تركيز هؤلاء المفكرين كان منصبا على البعد السياسى لمفهوم القوة ، كما تعنى القوة عندهم العنف أو الاكراه التى تمكن الحاكم من عملية الضبط الاجتماعى والذى كان يبدو شغلهم الشاغل لما لا حظوه من مشكلات سياسية واجتماعية هددت استقرار مجتمعاتهم . ونلاحظ الاختلاف والتشابه بين المفكرين الأغريق وأبن خلدون فمع أنهم يتفقون على أهمية وجود الحاكم إلا أنهم يختلفون فى مقوماته فعند سقراط أن أهم خاصية فى الحاكم هى المعرفة والمعرفة من وجة نظره قوة قادرة على الضبط الاجتماعى ، وعند أفلاطون طبقة حاكمة تمتلك القوة وطبقة محكومة تنصاع لهذه القوة أما عند ابن خلدون فالملك هو اساس القوة القادرة على الضبط الاجتماعى والملك هذا يستمد قوته من العصبية .

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير الذى أولاه قدماء المفكرين الاجتماعيين لظاهرة القوة الاجتماعية إلا انه كما يبدو لم يبذلوا جهدا خاصا فى معرفة ما هية وطبيعة هذه الظاهرة ، لقد تناولوها كأمر مسلم بوجوده وبحقيقته وبأثره وتأثير على المجتمع دون بذل جهد فى معرفة طبيعيته وما هيته ، هذا إذا استثنينا ابن خلدون الذى حاول أن يضع بعض الفروق بين الحكام من ناحية . أنه وضع بعض المؤشرات لمزاولة القوة الاجتماعية كما حددها في حماية الثغور وجباية الأموال وبعث البعوث ، كما تنبه ابن خلدون إلى حقيقة أخرى و هى تفاوت الحكام فى مصدر القوة كما تتمثل فى العصبية ، فبعض الحكام أكثر قوة من بعض نتيجة لما يتبع لهم من عصبية .

النظرة المعاصرة لمفهوم القوة الاجتماعية

على الرغم من التاريخ الطويل لاستخدام مفهوم القوة الاجتماعية فلا يزال يكتنفه غموض كبير لازمه لقرون عديدة ولا زال هناك صعوبة فى التمييز بين هذا المفهوم نتيجة للتداخل مع مفاهيم أخرى شديدة الصلة به مثل السلطة (authority) والتأثير (influence) والسيطرة (dominance) و المكانة (prestige) هذا التداخل بين هذه المفاهيم يخلق فى الحقيقة صعوبات نظرية ومنهجية .

ولقد كان التعامل مع مفهوم القوة الاجتماعية فى الماضى تعاملا محدودا جدا ، فلقد ركز افلاطون وبن خلدون وماركس وبايتو على مفهوم العنف "Violence" وركز هوبز على مفهوم الاكراه "Force" وركز فيبر على مفهوم السلطة "Authority" .

لقد كان اهتمام الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين كما سبق وأن أشرنا منصبا على بعض جوانب مفهوم القوة الاجتماعية حيث لاحظنا ارتباطها الشديد بالجانب السياسى أو علاقة الحاكم بالمحكوم ، وعند هؤلاء الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين أن غاية القوة هو الضبط الاجتماعى ومع أنهم اختلفوا فى من تكون له هذه القوة إلا أنهم اعتبروها ضرورة لتنظيم الحياة الاجتماعية أو التجمع الانسانى بوجه عام .

وفى بداية الخمسينات بدأ الأهتمام بدراسة ظاهرة القوة الاجتماعية من أبعاد مختلفة حيث ظهرت مجموعة من الكتب مثل :

Hunter , F. فى كتابه (Community Power Structure)

و Lenski , G. فى كتابه (Power & Privilege)

و Mills W. فى كتابه (The power Elite)

وغيرهما من الكتب ، كما لا يزال الاهتمام منصبا على هذا المفهوم حيث يشير ميلنر أنه فى السنوات القليلة الماضية ظهر ما لايقل عن ستة كتب [١] كلها تحاول توضيح طبيعة القوة الاجتماعية (Milner , 1993 : 11 - 12) ويضيف ميلنر أن المعرفة يمكن أن

تكون مصدرا للقوة لأنها أولا : تمكن الفرد من استخدام أفضل لما لديهم من اثابات) (Sanctions ، ثانيا أنها تساعد الفرد فى توجيه سلوكه بطريقة تؤدى إلى زيادة الجوانب الأيجابية من الإثابات ونقص الجوانب السلبية منها . وثالثا أنه بالامكان تحويل المعرفة إلى نوع من الخدمات والاحتياجات (Milner , 1993 : 11-12) ولاتقف أهمية المعرفة العلمية عند هذا الحد بل تتجاوز ذلك لكونها أساس القوة التقنية ، والقوة التقنية سواء فى الجوانب العسكرية أو المدينة تمكن من يملكها من فرض إرادته وتحقيق رغباته ،

وتشمل هذه الكتب التالى :

Baldwin , D . A . , 1989 . Paradoxes of Power . New Blackwell York : Basil

Barnes . B . 1988 , The Nature of Power . Cambridge : Polity Press

Boulding , K . 1990 . Three Faces of Power . Newbury park , Calif . : Sage Publications

Clegg , S . , 1988 . Frameworks of Power . London : Sage Publications

Isaac , J . c . 1987 , Power and Marxist Theory , Ithaca : Cornell University Press.

Wartenberg , T . E . 1990 , The Forms of Power , From Domination to transformation . philadelphia : Temple University press .

كما ظهر اتجاه جديد فى تناول مفهوم القوة الاجتماعية ، ينظر إليه نظرة واسعة متعمقة وإذا كان كثير من المختصين فى العلوم السياسية ما زالوا ينظرون إلى مفهوم القوة بنفس المنظور التقليدى فإن طبيعة تخصصهم واهتماماتهم ووحدات الدراسة عندهم تحتم عليهم هذه النظرة الضيقة لمفهوم القوة ، أما بالنسبة لعلماء الاجتماع فتختلف الحال عندهم وإن تكن الظاهرة السياسية جزء امن اهتماماتهم . والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل المجال الذى يهتم به علم الاجتماع كالأسرة والجماعات بانواعها والنظم الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى وغيره يخلو من ظاهرة القوة الاجتماعية ؟ والاجابة على هذا السؤال ليست بالعسيرة فمن البديهات أن القوة الاجتماعية تمارس وتعايش ونلمس أثرها فى الأسرة و المنظمة والجماعة وفى التفاعل الاجتماعى بشتى صوره واشكاله ولكنها قوة تختلف فى طبيعتها وفى مؤشراتها وابعادها واهدافها وغاياتها عن القوة فى مجال السياسة .

ولعل بيرسدت أول من اعطى معنى اوسع لمفهوم القوة الاجتماعية حيث يؤكد أن القوة ليست فقط القوة الساسية ،أن القوة السياسية مثلها القوة الاقتصادية والقوة المالية والقوة الصناعية والقوة العسكرية وأن القوة السياسية ما هى إلا أحد انواع القوة ويضيف أن المجتمع نفسه مترابط بعلاقات القوة ؛ قوة الأب التى يمارسها على أبنائه ، قوة السيد التى يمارسها على عبده ، قوة المعلم التى يمارسها على طلابه ، قوة المنتصر التى يمارسها على المغلوب ، قوة الرئيس التى يمارسها على موظفيه ..... وهذا يشمل كل ما فى المجتمع من علاقات بين الاوضاع أو المكانات الاجتماعية (Bierstedt , 1950 : 730) ويضيف أن القوة الاجتماعية تقف وراء التنظيم الأساسى للمجتمع وما يتضمنه من تنظيم اجتماعى أين ما وجد . وتقف القوة وراء كل ارتباط و تعززه ، وبدون القوة ليس هناك نظام وبدونها ليس تنظيم . (Bierstedt , 1950 , 730 - 32)

ولقد حاول (Bierstedt , 1950 , 730 - 32) تمييز مفهوم القوة الاجتماعية من المفاهيم الاخرى مثل الوضع الاجتماعى ، والسيطرة والتأثير حيث يرى أن القوة و الصيت متغيران مستقلان أحدهما عن الاخر ، فالصيت لا يقترن بالقوة غالبا ، وعندما يجتمعات معا تكون القوة فى العادة هى المصدر للصيت وليس العكس ، أما بالنسبة للقوة والتأثير فيرى أن القوة تعتمد على الاكراه أو الاجبار (coercive) بينما يعتمد التأثير

على الاقناع والاقتناع ، أما بالنسبة لقوة والسيطرة فيرى أن مفهوم القوة هو مفهوم سوسيولچى بينما السيطرة هى مفهوم سيكولوچى فمجال القوة هى الجماعات حيث تظهر فى العلاقات الجماعاتية بينما تظهر السيطرة فى العلاقات الفردية .

ويضيف هولى معنى أشمل لمفهوم القوة الاجتماعية حيث يؤكد أن كل فعل اجتماعى هو في حقيقته ممارسة للقوة الاجتماعية وعليه فإن أى جماعة اجتماعية أو نسق اجتماعى إنما هو تنظيم للقوة الاجتماعية (Hawley , 1972 : 10 -11)

وقد أثر اتزيونى فى كتابه The Active Society على مجرى تطور مفهوم القوة الاجتماعية وخاصة تصنيفه للقوة الاجتماعية على اساس ما تتضمنه من نوع المكافأة والعقاب حيث قسم القوة الاجتماعية إلى ثلاثة اصناف هى القوة القهرية أو الاجبارية و التي تعتمد على القوة العسكرية ، والقوة النفعية والتى تعتمد على العقوبات الاقتصادية والقوة الاقناعية والتى تعتمد على الدعاية (Etzioni , 1968 : 357) ويعطى اتزيونى أهمية كبرى للقوة الاجتماعية على المستوى المجتمعى حيث أن قدرة الجماعات أو الافراد على تحقيق الاهداف المجتمعية تخضع لما تملكه من قوة : (Etzioni , 1968 : 313) ويضيف اتزيونى مفهوما جديدا هو مفهوم المخزونa ssets ويعنى به ممتلكات الفرد التى بامكانه تحويلها إلى قوة اجتماعية ولكن ليس بالضرورة استخدامها .

(Etzioni ., 1968 : 314- 315)

ويضيف"اولسن" فى عدد من البحوث والكتابات ابعادا جديدة لمفهوم القوة الاجتماعية حيث يرى أنه بالإمكان أن ننظر إلى القوة الاجتماعية على أنها منهج تحليل لدراسة التنظيم الاجتماعى وينطلق من هذا إلى أنه إذا ما ادركنا أن التفاعل الاجتماعى ما هو إلا عملية يؤثرفيها فرد على آخر من هنا يمكن أن ننظر إلى أى ضرب من ضروب التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية من منظور ما تتضمن من ممارسة للقوة

(Olsen , 1978 : 34)

ويضيف اولسن بعدا جديدا على طبيعة مفهوم القوة الاجتماعية حيث يقترح أن ننظر ألى هذا المفهوم على أنه شامل يتضمن عددا من الظواهر مثل التأثيرInfluence

والضبط Control والاجبار أو الاكراه Force والسيطرة Dominance والسلطة Authority والاجتذاب Attraction وإذا ما نظرنا إلى مفهوم القوة على هذا النحو فبامكاننا أن نتعامل مع جميع انواع الفعل الاجتماعى على اساس أنها مزاولة للقوة الاجتماعية ومحاولة شرح انواع الفعل الاجتماعى على ضوء هذا المفهوم كلما امكن . فالقوة الاجتماعية من هذا المنظور هى القدرة على تشكيل عملية التنظيم الاجتماعى ، ونلاحظ هنا أن اولسن ركز على بعد جديد من ابعاد القوة الاجتماعية هو الاجتذاب Attraction واعتبر القدرة على الاجتذاب ضربا من ضروب القوة ، ويعنى بمفهوم الاجتذاب أن الفرد يملك بعض الخصائص أو السمات أو القدرات التى تنال اعجاب الأخرين ومن ثم الانقياد له وهو انقياد طوعى ، والقوة الاجتذابية مثلها مثل انواع القوة الأخرى لها مصادر ومخزونات.

ويشير " ميلنر " إلى الاهتمام المتنامى بالمعرفة كضرب من ضروب القوة حيث يرى أن المعرفة وخاصة المعرفة النظرية اصبحت على جانب من الاهمية فى عملية الانتاج المادى والضبط الاجتماعى ، واختلفت وجهات النظر نحو المعرفة كضرب من ضروب القوة الاجتماعية فاعتبرها البعض ضرباً من ضروب السيطرة والهيمنة ونظر إليها آخرون على أنها الأساس الذى يقوم عليه مجتمع ما بعد التصنيع ، بينما يتسأل اخرون هل الاهتمام بالمعرفة يعنى تحول وضع القوة الاجتماعية إلى طبقة " اجتماعية " جديدة . Milner(, 1993 : 11)

ولعل مفهوم المعرفة وعلاقته بالقوة لم يكن جديدا فقد أعطى بعض قدماء المفكرين أهمية خاصة لدور المعرفة حيث اعتبرها سقراط القوة على حل المشكلات السياسية كما اعتبرها الفارابى أهم سمة من سمات رئيس المدينة الفاضلة .

التعريف الاجرائى لمفهوم القوة الاجتماعية

يعتبر التعريف الاجرائى للمفاهيم الخطوة الأساسية لدراسة أى ظاهرة من الظواهر الاجتماعية وتعتمد سهولة التعريف الأجرائى على القدرة على قياسه والتى تتأثر بدرجة التجريد فكلما كان المفهوم أكثر تجريدا كان قياسه اصعب وبالتالى تعريفه الاجرائى ، وإذا أدركنا أن العلم يقوم على القياس فإننا عندئذ ندرك الصعوبات التى تجابه من يتعامل مع ظاهرة القوة الاجتماعية . ويجابه مفهوم القوة الاجتماعية صعوبات منهجية ومفهومية . "Conceptual" تجعل تعريفه اجرائيا غاية فى الصعوبة فمن ناحية مفهوميته أثار " لكس " مجموعة من التساولات عن طبيعة القوة الاجتماعية : هل القوة خاصية أم علاقة ؟ هل هى حقيقية أم احتمالية ؟ هل هى قدرة أم ممارسة لهذه القدرة ؟ هل تمارس من خلال الافراد والجماعات أم تمارس من خلال النظم ؟ هل مزاولتها مقصود من ممارسها أو أنها تمارس دون وعى من ممارسها ؟ ما هى النتائج التى يمكن أن تتمخض عن ممارستها ؟ (Lukes , 1978 (633 ' وعلى الرغم من أن بعض هذه التساؤلات قد نوقشت فى عدة دراسات إلا أن بعض هذه التساولات عن طبيعة القوة الاجتماعية تخلق صعوبات كبيرة ليس فى تعريفها الا جرائى فحسب بل وفى القدرة على فهم طبيعتها .

لقد حاول اتزيونى التغلب على بعض الصعوبات المرتبطة بالتعريف الإجرائى لمفهوم القوة الاجتماعية حيث يرى أن الاعتراض المنهجى الرئيسى لاستخدام مفهوم القوة الاجتماعية هو أن تقييم أثر القوة الاجتماعية تقييم بعدى ، أننا ندرك أن " أ " يملك القوة فقط بعد ما يتغلب على مقاومة " ب " وهل بامكان (أ) أن يفعل ذلك غير معروف حتى يستطيع ، هذا النوع من التحليل ليس له قيمة تنبؤية . ومن اجل التغلب على هذه الصعوبة دعنا نستخدم القوة الاجتماعية ليس لمزاولة منفردة لها وليس على فرد محدد أو فى وقت معين ، ولكن للنظر إلى القوة الاجتماعية على أنها القدرة الكلية للفرد فى علاقته مع الآخرين والقدرة على خفض مقاومة الآخرين إلى الحد الذى يفضله فى موقف معين . هذه القدرة . بالامكان توقعها إلى درجة مؤكدة من الاحتمالية ؛ على اساس الأمثلة السابقة من ممارسة القوة الاجتماعية والتى يمكن التنبوء بنتائج توظيفها (Etzioni , 1968 : 314 - 315)

وعلى الرغم من أن ايتزيونى يرى امكانية تعريف مفهوم القوة اجرائيا إلا أنه لاينكر مدى الصعوبات التى تكتنف تعريف هذا المفهوم . اما ولسن فيرى أننا إذا ما أردنا أن نحلل مفهوم القوة الاجتماعية موضوعيا فإننا بحاجة إلى قياس كمى لعدد من المتغيرات ذات الصلة بمفهوم القوة الاجتماعية مثل مفهوم المصادر ومفهوم المقاومة ، كما أننا بحاجة لايجاد مقياس مقنن لقياس نتائج مزاولة القوة . (Olsen , 1978 : 50)

ويرى اولسن أنه بالامكان أن ننظر إلى الظواهر المكونة للقوة الاجتماعية مثل التأثير Influence والضبط Control والاجبار أو الاكراه Force والسيطرة Dominance والسلطة Authority والاجتذاب Attraction كنقاط متفاوته على متصل "Continum" القوة حيث يأتى الاكراه فى اقصى طرفى هذا المتصل والاجتذاب فى اقصى الطرف الآخر . (Olsen , 1978 : 44)

إذا نظرنا إلى ما سبق أن طرحه اولسن عن متصل القوة نجد هناك اشكالية جديدة لم يتنبه لها اولسن كما يبدو فحين نتحدث عن متغير من المتغيرات ونتعامل معه كمتصل كمتغير الدخل مثلا - فإنا يجب أن نسأل اولا ما هى الخاصية التى يتضمنها المتصل ؟ ويجب أن تكون الدرجات على هذا المتصل من نفس الخاصية ففى الدخل مثلا يمكن أن ننظر إليه كمتصل ١٠٠ - ١٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ريال لأن الدرجات على هذا المتصل من نفس الخاصية وإن اختلفت فى الكمية لانها كلها وحدة نقدية معروفة ، أما بالنسبة للقوة فهل نستطيع أن نتعامل معها بهذا الشكل ؟ هل نستطيع أن نضع متصل لمفهوم القوة بشكل الذى اقترحه اولسن والذى يتضمن معظم اشكال القوة الاجتماعية :

إكراه ـــ سيطرة ـــ سلطة ـــ اجتذاب

يجب أن نميز بين أمرين هامين حتى تتضح صعوبة اعتبار مفهوم القوة الاجتماعية كمتصل ؛ الأول مفهوم خاصية المتغير فخاصية المتغير " المتصل " تتغير بين درجات المتصل فى الكم لا فى النوع ، الأمر الاخر النتيجة نتيجة استخدام القوة الاجتماعية يمكن اعتبارها متصل لأن المحصيلة النهائية لاستخدام القوة الاجتماعية هى الانصياع لرغبات أو اهداف ممارسة القوة الاجتماعية وبالامكان النظر إلى الانصياع على أنه متصل حيث يمكن توزيع الانصياع إلى درجات متفاوته . لهذا فمن الصعوبة بمكان اعتبار أن القوة الاجتماعية بابعادها

المختلفة على أنها متصل لأن الاكراه على سبيل المثال يختلف عن الاجتذاب فى الخاصية فالأول يتضمن نوعا من العنف بينما الثانى يتضمن خاصية جاذبة فى صاحب القوة وخاصية انجذاب فى الخاضع للقوة وهما كما يبدو ان يختلفان فى طبيعة خاصيتهما وإن تكن النتيجة واحدة.

مماسبق يمكن القول أن الظواهر المختلفة للقوة الاجتماعية كالاكراه والسيطرة والسلطة والتأثير والاجتذاب هى مظاهر مختلفة للقوة الاجتماعية تختلف فى طبيعتها وتتفق فى نتائجها العامة وهو " الانقياد " وما دام الأمر كذلك فأعتقد أن التعامل معها كمتغير " متصل " يمثل تجاوزات منهجية ونظرية . أما بالنسبة للتجاوزات المنهجية فكما سبق و أن أوضحنا أن هذه المظاهر للقوة الاجتماعية تختلف فى خاصياتها ، أما بالنسبة للتجاوزات النظرية فتتمثل فى أن التعامل مع هذا المفهوم كمتصل يتنكر لحقيقة هامة وهى عوالم ظواهر القوة الاجتماعية فعالم الاكراه هو عالم السيطرة والخنوع ، وعالم السلطة هو عالم القبول والرضى النسبى ، وعالم الاجتذاب هو عالم العواطف ؛ الحب أو الاعجاب . إننا لانستطيع بأى حال من الاحوال أن نقول أن خضوع العبد لسيده يشبه خضوع الابن لأبيه ، أو أن سيطرة الأب فى بيته تشبه سيطرة الحاكم المستبد ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأهداف من ممارسة القوة الاجتماعية تختلف بين هذه العوالم فالاكراه يهدف إلى اشباع حاجات ممارس القوة دون اعتبار لحاجات الخاضع للقوة ، والسلطة وإن اختلفت اشكالها فإن ممارس القوة يشبع حاجاته بالدرجة الأولى دون تنكر لحاجات من يخضعون لسلطته والاجتذاب فى اغلب صوره قد تكون حاجات الخاضع للقوة هى الدافع لممارسة القوة كما هى الحال فى العلاقة بين الأب وابنه .

الخلاصة والمناقشة

على الرغم من الاهتمام الذى أولاه علماء الاجتماع لظاهرة القوة الاجتماعية من خلال التركيز على دراسة مفهوم القوة الاجتماعية حيث نال هذا المفهوم اهتماما خاصا خلال الستينات والسبعينات ، وما يلقاه فى الوقت الحاضر حيث ألفت الكثير من الكتب التى حاولت توضيح ظاهرة القوة الاجتماعية من خلال التركيز على توضيح مفهوم القوة الاجتماعية، إلا أن الحاجة مازالت ماسة لدراسة ظاهرة القوة الاجتماعية فى مناحى الحياة المختلفة وفى الجماعات الاجتماعية بشتى صورها وأشكالها ، وإذا ما سلمنا بأهمية القوة الاجتماعية كأساس للعلاقات الاجتماعية والضبط الاجتماعى وهو ما أكده الفلاسفة والمفكرون الاجتماعيون القدماء فإن كثيرا من المشكلات الاجتماعية المعاصرة يمكن أن تعزى لسوء استخدام القوة الاجتماعية بمعناها الشامل سوء فى الوحدات الصغرى أو الوحدات الكبرى من المجتمع ، سواء فى العلاقات الشخصية أو فى العلاقات الرسمية . إذا سلمناه أن القوة الاجتماعية تمارس فى الأسرة وهى موطن التنشئة الاجتماعية للاجيال ، حيث تتكون وتتشكل الشخصية الاجتماعية وتنصقل ، وتمارس فى المدرسة حيث تكتسب القيم الرفيعة المهذبة والنماذج المثالية ، فإن خطورة سوء استخدام القوة الاجتماعية فى هاتين المؤسستين الاجتماعيتين بوجه خاص يؤدى إلى خلق جيل يعوق تقدم الأمة ونماءها نتيجة لما يصيب الشخصية من انحرافات يأتى نتيجتها جيل الرفض أو الخنوع ، جيل العصيان أو الطاعة العمياء وكلا هذين النقيضين ابعد ما يكون عن سمة التوازن المرغوبة فى افراد المجتمع .

إن محاولة فهم ظاهرة القوة الاجتماعية فهما علميا يحتم أولا فهم المراد بمفهوم القوة الاجتماعية والقدرة على قياسها سواء نظرنا إليها كظاهرة عامة ينضوى تحتها العديد من المؤشرات أو نظرنا إليها على أنها عدة ظواهر مختلفة ، ولقد حاولت هذه الدراسة تتبع مفهوم القوة الاجتماعية عند قدماء المفكرين وكان هذا المفهوم كما رأينا مرتبطا غاية الارتباط بالجانب السياسى ، غير أن علماء المحدثين حاولوا توسيع دلالات هذا المفهوم لينسحب على جميع النشاطات والعلاقات الاجتماعية ، وليشمل ابعادا مختلفة لظاهرة القوة الاجتماعية ، وعلى الرغم من المحاولات الجادة المطروحة بين علماء الاجتماع اليوم حول مفهوم القوة إلا أن

هناك صعوبات منهجية ونظرية ما تزال تواجه هذه المحاولات . لذا فإن قضية القوة الاجتماعية كظاهرة وكمفهوم مازالت بحاجة إلى البحث والتقصى .

المراجع العربية

ابن خلدون ، عبدالرحمن

مقدمة ابن خلدون ، دار احياء التراث العربى ، بيروت

أسعد ، محمد فايز

١٩٨٤ عباقرة الفكر الاجتماعى ، الجزء الأول ، الرياض : كتاب الوطن .

بدوى ، السيد محمد

١٩٨٧ مبادئ علم الاجتماع ، الأسكندرية : دار المعارف الجامعية .

الفارابى ، أبو النصر

١٩٥٩ آراء أهل المدينة الفاضلة ، تحقيق البير نادر ، بيروت

الخشاب ، أحمد

١٩٨١ التفكير الاجتماعى ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية بيروت ، دار النهضة العربية.

سباين ، جورج

١٩٥٤ تطور الفكر السياسى ، تعريب ، حسن جلال العروسى القاهرة ، دار المعارف

سعد ، إسماعيل على

١٩٨٦ نظرية القوة ؛ مبحث فى علم الاجتماع السياسى الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية

عزام ، ادريس

١٩٨٦ السلطة السياسية و وظيفتها الاجتماعية ، قراءة جديدة لبعض جوانب الفكر السياسى لحجة الاسلام أبى حامد الغزالى ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد ١٤ ، العدد ٤ : ١٥ ـ ٣٨ .

نور ، محمد عبدالمنعم

بدون تاريخ ، المفكرون والمجتمع : دراسة أساسية فى تطوير الفكر الاجتماعى ، القاهرة : دار المعارف .

المراجع الاجنبية

Bambrough , Renford 1963 The philosophy of Aristotle, translation by Wardman, A . E . & Creed , J . L.
New American Library , New York .

Bierstedt , R . 1950 "An Analysis of Social Power"
American Sociological Review , 15 , Dec . 730 - 748.

Etzioni , A 1968 The Active Society . New York , The Free Press .

Hawley , A . 1963 P ower as an Attribute of Social System,
In Power in Societies , PP : 10 - 11 , (Ed) M.E. Olsen.

Lukes , Steven 1978 Power & Authoity , in T. Bottomore,
Nisbet (Eds) , AHistory of Sociological Analysis,633 67
Basic Books , Inc . , Pub . New york.

Milner , Murray 1993 Power & Knowledge . American Sociological Association , 88 th Annual Meetiog, Miami Beach , August 13 - 17

Olsen , M. E .
The Process of Social Oranization : 1987

Power in Social Systems , New York ; Holt , Rinehart & Winston .

Pareto , V .

Elites & Force , In Power in Societies , 1963 pp : 10-11 , edited by M.E. Olsen

Wrong , D.H.

Power ; Its Forms , Bases , and Uses, 1980

New YOrk : Harper Coliphon Books .